الفصل الثاني

ظهور هتلر
ورؤية تشرشل لشخصية هتلر

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تشرشل :

في شهر تشرين الأول عام ١٩١٨ كان العريف الألماني أدولف هتلر طريح الفراش في إحدى المستشفيات بعد أن أصيب بالعمى المؤقت من قنبلة الغاز ، في إحدى المعارك التي شنتها القوات البريطانية بالقرب من كوفنر ، وبينما كان طريح الفراش في المستشفى حلت الهزيمة بألمانيا وعمت الثورة البلاد .

كان هذا العريف ابنًا لموظف من موظفي الجمرك نمساوي الأصل ، وكانت الأحلام تراوده بأن يصبح فنانًا عظيمًا ، لكنه بعد أن فشل في الالتحاق بأكاديمية الفنون في ڤيينا ، اضطر إلى البقاء في العاصمة فقيرًا سيئ الحال ، وما لبث أن غادرها إلى ميونيخ وعمل هناك كدهان ، وكعامل مؤقت ، وعاش حياة شقية يغذيها الحقد على العالم كله ، والنقمة عليه لأنه حرمه من نعمة النجاح ، إلا أن الشقاء والفقر لم يدفعا به إلى أحضان الشيوعية ، بل ظل يقدس الولاء العنصري الذي كان يتملكه بالإضافة إلى إعجابه الشديد بألمانيا وبالشعب الألماني ، وقد التحق بالجيش الألماني عند نشوب الحرب العالمية الأولى ، وبقي لمدة أربع سنوات في الجبهة الغربية ملتحقًا مع أحد الأفواج البافارية .

وعندما كان في مستشفاه في شتاء عام ١٩١٨ ، بدا له فشله السابق وكأنه اختلط مع الكارثة التي حلت بالشعب الألماني كله ، فسادته نزعة عارمة من الحزن على نفسه وعلى شعبه ، خاصة بعد أن حلت الثورة وعمت الفوضى جميع البلاد .

لم يتمكن أدولف هتلر من فهم أو من تفسير الأسباب التي أدت إلى هزيمة ألمانيا ، إلا أنه كان متيقنًا من ضروب الخيانة الشديدة التي طعنت الجيش الألماني من الخلف ، وراح يفكر في تلك الأسباب العديدة التي أدت إلى الهزيمة من خلال تجاربه الشخصية ، فهو قد اختلط بفئات عديدة متطرفة في ڤيينا واستمع إلى قصص الغدر والخيانة الذي قام به عرق غريب آخر هو عدو لدود للشعب الجرماني العريق ، ألا وهم اليهود ، وهكذا تطورت نقمته الأولى المنصبة على الأغنياء والناجحين وتحولت إلى كراهية عارمة .

وعندما خرج من المستشفى ، رأى بعينيه التي أبصرت النور من جديد نتائج ما خلفته الهزيمة وما يدور في المدينة من ملامح ثورة حمراء مرعبة ، وشاهد السيارات تطوف بالمدينة ،

تلقي بالمنشورات وتطلق العيارات النارية على المتشردين من أبناء العشب، ورأى زملاءه في الجيش يضعون الأشرطة الحمراء على أذرعهم، فوق بزاتهم العسكرية، ويهتفون بغضب شعارات غريبة تتنافى مع كل ما يعتقده ويؤمن به، وهكذا صدمته الحقيقة المرة، ورأى أن ألمانيا قد أصيبت بطعنة غادرة من الخلف، كان أبطالها من اليهود الذين أمعنوا تقطيعًا بها ليرغموها على الاستسلام بدسائسهم ومؤامراتهم ويؤيدهم في ذلك حلفاء لهم من البلاشفة ليتمموا تنفيذ مخططات ومؤامرات دولية يقوم بها المثقفون اليهود، وشعر بالواجب يحتم عليه بأن يخلص ألمانيا من هذا المرض الخبيث، والأخذ بالثأر من الذين ألحقوا بها الإساءات العديدة، ثم النهوض بالشعب المتفوق إلى مستقبل أفضل.

وانطلق أدولف هتلر يصعد بخطا سريعة نحو القيادة والزعامة، يناصره في ذلك ضباط فوجه، وفي مساء أحد الأيام من شهر أيلول عام ١٩١٩ م، ذهب لحضور إحدى اجتماعات حزب العمال الألمان في أحد المصانع، وسمع لأول مرة في حياته أناسًا يتحدثون بما كان هو يؤمن به من خيانات اليهود ومجرمي شهر تشرين الآخر، الذين دفعوا بألمانيا إلى الهزيمة، فانضم إلى هذا الحزب وخلال فترة بسيطة أصبح أدولف هتلر زعيم الحزب الأول، وغدا يحمل لقب الزعيم أو «الفوهرر» وأصدر جريدة تنطق باسم حزبه هي جريدة «الفولكشاير بيوختر».

إلا أن الشيوعيين لم يقفوا مكتوفي الأيدي، فحاولوا تحطيم حزبه وتفريق اجتماعاته الناجحة، واضطر هتلر إلى إنشاء حرس خاص لصد الهجمات الشيوعية، ونشأت بذلك الوحدات الأولى لقوات العاصفة، وكان نشاطه محصورًا في تلك اللحظة على بافاريا فقط، وكان الجميع في كافة أنحاء الرايخ الألماني كانوا يستمعون بشغف لتعاليم هذا الإنجيل الجديد، فقد كانت النقمة على الأوضاع الحالية تعم ألمانيا كلها، وأدت موجة الغضب التي عصفت بالشعب كله من احتلال فرنسا للروهر عام ١٩٢٣ إلى انضمام الألوف من أبناء الشعب إلى الحزب الجديد الذي أصبح الآن «الحزب الاشتراكي الوطني».

ومنذ البداية وضح هتلر، أن السبيل الوحيد للوصول إلى الحكم هو في الثورة والعنف ضد حكم ويمار وجمهوريته التي خلقت في عار الهزيمة، وانضم إلى دعوة الفوهرر فئة ضمت بين صفوفها، غورنغ وهيس وروزنبرغ وروهم، الذين من ثم اتفقوا على وجوب

استلام السلطة في بافاريا، وانضم إليهم الجنرال فون لوندورف الذي كان رئيس أركان الجيش الألماني أثناء الحرب الأولى، وسار على رأس قوة مجهزة لاحتلال بافاريا، إلا أن رجال الأمن من شدة احترامهم للجنرال لم يطلقوا عليه النار، بل اكتفوا بالتصويب على المتظاهرين، وتمكنوا من اعتقال فئة كبيرة منهم ومن بينهم هتلر نفسه الذي حوكم وحكم عليه بالسجن لمدة أربع سنوات، خفضت إلى ثلاثة عشر شهرًا، وفي سجنه هذا تمكن من تأليف القسم الأكبر من كتابه «كفاحي» الذي أصبح فيما بعد من أهم الكتب التي أقبل على قراءتها قادة الدول الحليفة وزعماؤها العسكريون.

وفي عام ١٩٢٤ خرج هتلر من السجن وصرح أنه لن يتمكن من إعادة تنظيم حزبه قبل خمس سنوات، وفي عام ١٩٢٨ لم يكن لحزبه في البرلمان الألماني «الرايشستاغ» سوى اثنى عشر مقعدًا، ومن ثم ابتدأ الرقم بالارتفاع إلى أن أصبح البرلمان في عام ١٩٣٢ يضم ٢٣٠ عضوًا من الحزب، كما أصبحت الدولة الألمانية كلها خاضعة لنفوذ الحزب الاشتراكي الألماني، وبدأت حركة الاضطهاد بمختلف أنواعها وانصبت النقمة كلها على رؤوس اليهود انتقامًا لما اقترفوه في السابق من جرائم وخيانات ودسائس.

وما إن أطل عام ١٩٣٣ حتى وصل هتلر إلى سيدة الحكم، أولاً كمستشار لألمانيا، وكانت أولى أعماله أن أصدر أمرًا يمنع فيه الحزب الشيوعي من العمل في البلاد، وبدأت حملة قوية عمت البلاد كلها لمصادرة الأسلحة من أيدي الشيوعيين، ونشبت الاضطرابات وبلغت ذروتها حين هب حريق في دار الرايشستاغ، فاستدعيت فرق رجال القمصان السوداء للعمل وللمحافظة على الأمن، وفي نفس الليلة تم اعتقال أربعة آلاف زعيم شيوعي ومن بينهم أعضاء اللجنة المركزية التابعة للحزب للشيوعي، وكان غورنغ الآمر لهذه الإجراءات كلها بعد أن أصبح وزيرًا للداخلية، وبذلك يكون قد أمن هزيمة الشيوعيين خصوم الحزب الاشتراكي الأشداء لكي تكون مقدمة للفوز بالانتخابات الجديدة المقبلة.

وفي الانتخابات فاز النازيون بـ ٢٨٨ مقعدًا في البرلمان واقترع إلى جانبهم ١٧,٣٠٠,٠٠٠ ناخب، وبذلك تمكن هتلر من السيطرة نهائيًا، وفي الحادي والعشرين من شهر آذار عام ١٩٢٣ افتتح هتلر أول مجلس للرايشستاغ في الرايخ الثالث، وجلس حوله كبار القادة، وضباط جيش العاصفة والحرس النازي الخاص الذين يمثلون ألمانيا الجديدة،

وفي الرابع والعشرين من الشهر ذاته وافق الرايشستاغ على منح هتلر سلطات استثنائية لمدة أربع سنوات .

❖ ❖ ❖

هتلر يتحدى:

يقول تشرشل :

بينما كان هذا التغيير المخيف يجري في ألمانيا ، كانت حكومتنا مضطرة إلى التخفيض والتقنين انسجاما مع الأوضاع والأزمات المالية الراهنة التي حدت من تسلحنا ، وبقيت حكومة مكدونالد بالدوين مصممة آذانها عن سماع أو رؤية الأخطار المحدقة بنا نتيجة التغيرات في أوروبا ، ثم حاولت الحكومة أن تطبق قوانين معاهدة فرساي القاضية بنزع السلاح من المنتصرين ، فقدمت عدة مشاريع ومقترحات إلى عصبة الأمم لتضمن تطبيق هذه القوانين ، كما أصرت فرنسا على وجوب بقاء جيشها الذي تعتبره محور حياتها ووجودها ، وقد شجعت هذه المحاولات ، الحكومة الألمانية ، وادعت أن هذا السلوك إنما هو نابع من صميم المجتمع البرلماني الديمقراطي الضعيف والمنحط بطبيعته ، وراح الألمان بدافع من هتلر الذي أوحى إليهم بهذه الأفكار ، يبدون أكثر عجرفة وكبرا ، وما كان من أعضاء الوفد الألماني الذين حضروا مؤتمر نزع السلاح ، إلا أن انسحبوا من الاجتماع في تموز عام ١٩٣٣ ، وحاول الحلفاء مراضاة الألمان بشتى الوسائل إلى أن توصلوا إلى إقرار مشروع اقتراح دعي مشروع هريو ، وهو يقضي بإعادة تنظيم جميع القوات العسكرية الدفاعية في أوروبا ، وجعلها جيوشًا محدودة العدد ، وفرض المشروع على وجوب تخفيض عدد الجيش الفرنسي من خمسمائة ألف إلى مائتي ألف جندي ، بينما يرتفع عدد الجيش الألماني إلى هذا الرقم ، إلا أن الجيش الألماني قد أصبح عدده يجاوز المليون متطوع مجهز بأحدث الأسلحة التي تنتجها المصانع الألمانية التي تم تحويلها إلى مصانع للسلاح ، وكانت النتيجة غير المنتظرة هي في الأوامر الصادرة عن هتلر والقاضية بالانسحاب من كل مؤتمر ومن عصبة الأمم.

لقد كان في وسع عصبة الأمم أن ترد على تحديات هتلر ، وتهديداته العسكرية ، وذلك بفرض العقوبات عن طريق القانون الدولي ، كما أن الحكومة الأميركية لم تكن تكترث لهذه التهديدات إلى أن حان الوقت بعد عدة سنوات ، فوجدوا أنفسهم عند ذلك مضطرين للتضحية بأرواحهم لينقذوا أنفسهم من الخطر المميت .

تشرشل يحكي عن نفسه:

يقول تشرشل :

وفي مطلع عام ١٩٣١ سافرت برحلة إلى الولايات المتحدة الأميركية لإلقاء سلسلة محاضرات هناك ، وفي نيويورك تعرضت لحادث سيارة كاد أن يودي بحياتي ، فقد نزلت من سيارتي من الجانب المعاكس وعبرت الشارع الخامس ، وكانت أنظمة السير المطبقة في أميركا وخاصة فيما يتعلق بالسير المعاكس والأضواء الحمراء التي لم يكن معمولاً بها في بريطانيا في ذلك الحين ، وفجأة وقع اصطدام عنيف كانت نتيجته أن لازمت الفراش في المستشفى لمدة شهرين وأنا محطم شر تحطيم ، ومر هذا العام وأنا بصحة سيئة للغاية ، إلى أن بدأت أستعيد صحتي تدريجيًا بعد ذلك .

لقد كانت السنوات ما بين عام ١٩٣١ و ١٩٣٥ من أمتع سنوات عمري ، فقد انصرفت إلى التأليف وإلى إلقاء المحاضرات ، وقد كسبت الكثير من عائدات مقالاتي وكتبي التي لاقت رواجًا كبيرًا في بريطانيا العظمى وفي الولايات المتحدة الأميركية ، كذلك في القارة الأوروبية كلها.

وفي عام ١٩٣٢ اضطررت للسفر إلى ميونيخ وذلك لمتابعة تأليف أحد كتبي عن تاريخ مارلبورو، وقد أمضيت في ميونيخ حوالي الأسبوع ، ونزلت في فندق ريجينا ، وهناك تعرفت إلى شخص يدعي الهر هانغستانغل الذي كان من المتحمسين لهتلر والذي كان على علاقات طيبة معه، وقد دعوته في أحد الأيام لتناول العشاء معنا بعد أن أعجبتني لباقته ، وأثناء العشاء حدثنا كثيرًا عن هتلر وعن نشاطاته وآرائه ، وكنت أشعر وأنا أصغي إليه ، أن الرجل كان واقعًا تحت سحر هتلر دون ريب ، وقد علمت أن الأوامر قد صدرت إليه بالاعتناء بي ، وبدا أنه يرغب في إدخال السرور والبهجة إلى نفسي ، لقد كان الرجل لطيفًا إلى أبعد الحدود ، ومن المقربين إلى الفوهرر، وقد دعاني إلى الاجتماع به وتطوع إلى أعداد الموعد معه ، إذ إن الفوهرر يتردد كل يوم إلى الفندق في الساعة الخامسة مساء ، وسيسره الاجتماع بي شخصيًا .

في ذلك الحين لم أكن أي عداء لهتلر بالذات، ولم أكن أعلم الكثير عن عقيدته وفلسفته وشخصيته ، بل كنت معجبًا به ؛ لأنه تمكن من النهوض ببلاده بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بها ، وفي أثناء حديثي مع الهر هانغستانغل تطرقت إلى الحديث عن اليهود بشكل

لاحظت أنه لم يكن راضيًا عنه ، وفي اليوم التالي عندما اجتمعت به للمرة الثانية قال لي أن الفوهرر لن يتمكن من الاجتماع بي ، فهو لن يأتي إلى الفندق في هذا اليوم ، وكانت هذه آخر مرة رأيت فيها «بوتزي» وهو اسمه الصغير ، بالرغم من أنني أمضيت عدة أيام أخرى في الفندق ، وهكذا أضاع هتلر فرصته الوحيدة في مقابلتي ، وفيما بعد تلقيت عدة دعوات من الفوهرر ، بعد أن أصبح في ذروة القمة، لكني كنت أعتذر عن قبولها ؛ لأن أشياء عديدة حدثت أثناء ذلك .

ماذا حدث في الشرق الأقصى ؟
يجيب تشرشل قائلاً :

في الشرق الأقصى ، فكان الاستعداد للحرب ينبع من اليابان بصورة خاصة ، فقد أثرت الأزمة الاقتصادية عليها بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٣١ بشكل كبير ، فقد ارتفع عدد سكانها من خمسين مليونًا إلى سبعين مليونًا وازدادت أعداد مصانعها من خمسين إلى مئة وثمانية وأربعين مصنعًا، كما ارتفعت نسبة المعيشة ، وبقي إنتاج الأرز على ما هو فيما كان استيراده من الخارج باهظ التكاليف ، واشتدت الحاجة إلى المواد الأولية وإلى الأسواق الخارجية فاضطرت بريطانيا وأربعون دولة أخرى إلى زيادة التعريفة الجمركية العالمية على البضائع المستوردة من اليابان ، لمواجهة الكارثة الاقتصادية ، وخوفًا من طغيان تلك البضائع على البضاعة الوطنية ، فتحولت أنظار اليابان إلى الصين السوق الرئيسي لتصريف منتجاتها من القطن ، بالإضافة إلى كونها المورد الوحيد لاحتياجاتها الهائلة إلى الفحم والحديد ، لذلك أصبحت السياسة اليابانية تقضي بفرض السيطرة على الصين ووضعها تحت أشرافها وسيطرتها واختلقت اليابان عذرًا تافها وانقضت على منشوريا واحتلت منطقة سكة الحديد، ثم طالبت بحل المنظمات الصينية المعادية لليابان ، إلا أن الحكومة الصينية رفضت هذا الطلب ، فأنزلت اليابان قواتها عند ذلك إلى المنطقة الشمالية من شنغهاي، وقد قاوم الصينيون ببسالة لمدة شهر واحد ، إلا أنهم اضطروا بعد ذلك إلى الانسحاب ، وتقدمت القوات اليابانية متوغلة في داخل الصين إلى أن بلغت سورها العظيم ، ومن ذلك الوقت بدأت الاستعدادات اليابانية تزداد وتقوى ، خاصة قواتها البحرية .

❖ ❖ ❖